وقفة مع
(من كان شيخه كتابه ، كان خطؤه أكثر من صوابه)

عبد الله بن سليمان العبدالله (ذو المعالي)

لا يشك عاقل فَطِن ما للكتاب من مكانة سامية ، و منـزلة مرموقة في نفس العلماء و طلاب العلم .

و ذلك : أن الكتاب آلة الصناعة العلمية ، فلا يخلو و لا يستغني الصانع عن آلته .

و هذه (وقفة) صامدة أمام مقولة قيلت بحق ، و استُعْمِلَتْ في هذه الأزمان بباطل ؛ و هي : (من
كان شيخه كتابَه ، كان خطؤه أكثر من صوابه) .
فأقول و بالله أستعين :
إن السلف _ رحمهم الله _ أرادوا بهذه القالة أحدَ أمرين :
الأول : التأصُّلَ العلمي من تضاعيف الكتب .
و المعنى : أن هناك مَنْ يسلُك مسالك التأصُّلَ العلمي عن طريق قراءة الكتب .
الثاني : تعليم الناس عن طريق الكتب .
و المراد : من يجلس لتعليم الناس قراءةً من الكتب ، مستغفلاً نفسه و غيره ، مُعْرِضاً عن التحقيق و التحرير في مسائل العلم .
فهذا مُرَادَان للسلف بتلك القولة .
و ههنا فائدة تتعلَّق بأقسام الناس بالنسبة لقراءة الكتب ؛ و هم على أقسام ثلاثة :
الأول : مَنْ يقرأ على الشيخ مفاتيح العلوم .
بمعنى : أنه يتأصَّلُ بشيخه و يتخرَّجُ عليه في مفاتيح العلوم و أصولها .
الثاني : من يقرأ على شيخه تخرُّجاً عليه في فنٍّ من الفنون .
و المعنى : أنه يلزم شيخَه دراسة عليه سنيَّاً طِوالاً في فنٍّ يُتقِنُه شيخه ، و ربما أُسْنِدَتْ إليه الإمامة في ذاك الفن .
و هذا هو المقصود من صنيع السلف بقوله : (لزم شيخه عشرين سنة) و نحوها .
الثالث : مَنْ يلزم شيخه تكثُّراً من الفوائد و المُلَح العلمية .
و هذا لا أظن أن هناك داعياً لحضوره مجالس شيخه إذا كان تحصيله إنما هو لفوائد و نُتَفٍ من العلم لا تُعَدُّ من أصول العلم و معاقده .

هذه خاطرة خير في البال خَطَرَتْ ، فأردت أن أُتحف بها .
و الله أعلم و الموفق .